

طبيعة المنهج العلمي عند ابن خلدون وقيمه

The nature of the curriculum according to Ibn-Khaldun and its value

عبد الحليم شتوح¹، محمد تونسي²Abdelhalim Chettouh¹, Mohamed tonsi²1جامعة عمار تليجي الأغواط (الجزائر)، ae.h.chettouh@lagh-univ.dz2 جامعة عمار تليجي الأغواط (الجزائر)، m.tounsi@lagh-univ.dzمخبر الانتماء: مخبر الصحة النفسية (جامعة عمار تليجي الأغواط)

تاريخ النشر: 2022/01/25

تاريخ القبول: 2022/01/11

تاريخ الاستلام: 2021/11/03

الملخص:

يعد منهج ابن خلدون إحدى أهم المسالك العلمية في تاريخ العلوم، وقد اكتسب أولوية خاصة لدى العديد من العلماء والباحثين ليس في بلاد العالم الإسلامي فحسب، بل حتى في بلاد الغرب، ونأمل من خلال هذه الدراسة إلى توضيح دور المنهج الخلدوني في الميدان العلمي وآراء الباحثين في النتائج التي توصلوا إليها حوله، ومن هذا التقديم يتضح لنا وزنه وأهميته تقديمه، بالإضافة إلى محاولة دراسة هذا المنهج دراسة نقدية تحليلية، تهدف إلى تبين مدى براعة وعظمة العلماء المسلمين في المناهج العلمية التي قدموها للعالم الحديث، ولهذا وقع اختيارنا على منهج العلامة ابن خلدون.

الكلمات المفتاحية: المنهج التجريبي، العقل، المنهج العلمي، ظاهرة، ابن خلدون.

Abstract:

Ibn Khaldun's method is considered one of the most important scientific methods in the history of science. It has been and still a priority for many scientists and researchers across the world, for both Islamic and non-Islamic scholars. This study aims to clarify the role of the Khaldunian method in the field of science and show the different Researchers' views on it. Thus, what is said above signifies the ingenuity and greatness of Muslim scholars in the scientific methods they presented to the modern world in general and the importance of the Khaldunian method in particular. Therefore, this article seeks to thoroughly study the Khaldunian method critically and analytically.

Keywords: The experimental method, the mind, Scientific method, phenomenon, Ibn Khaldun.

المؤلف المرسل: عبد الحليم شتوح، الإيميل: chabdelhaim779104479@gmail.com

1. مقدمة:

يعد ابن خلدون في تقدير الكثير مما درسوا فكره وفلسفته وبحثوا في تفاصيل مؤلفاته ونظرياته أبرز مفكر ظهر في الفترة الفاصلة بين أرسطو وميكافيلي، حيث تأتي مكانته في كونه انتصب في ملتقى الاتجاهات التاريخية والفلسفية والفكرية والفقهية والمنهجية وحتى الصوفية، فلقد كان شخصية غير متوقعة بالنسبة لعصره، ذلك العصر الذي بلغ فيه تفكك العالم الإسلامي مبلغه بين دويلات طائفية متناحرة، حتى بقيت شخصيته مغمورة وضائعة وسط صخب هذا الصراع، إلى أن ترجمها الأوروبيون أولاً واستفادوا منها، ليطفو على السطح فكره الفذ وفلسفته الفريدة ونظرياته العبقريّة، ويعد المفكر العربي عبد الرحمان ابن محمد ابن خلدون الحضرمي من خيرة العلماء المسلمين الذين تكلموا حول طبيعة وخصوصية المنهج العلمي من خلال تحليلاته لطبيعة المنهج وأبجدياته ومدى دقته لغرض الوصول إلى الحقيقة المنشودة وعدم الوقوع في الزلل الفكري والنتية العلمي.

وواقع المنهج في عالمنا العربي تتجاذبه اتجاهات عدة تتراوح بين القديم والحديث وبين المعقد والبسيط وبين التقدم والتراجع وغيرها من الاتجاهات الموجودة على الساحة الفكرية في عالمنا العربي، بالإضافة لعامل الإيديولوجية الذي رمى بظلاله على طبائع البحوث العلمية وتفسير الظواهر العلمية وحتى الاجتماعية، فكل هذا جعل عبد الرحمان ابن خلدون يضع أسس منهج علمي يغربل به الكم الهائل من الأخطاء والمغالطات التي امتلأ بها الحقل العلمي والفكري عند المسلمين، وكل ما يمكن أن يؤثر بالسلب على التيار والنظام المعرفي عند المسلمين أو غيرهم من الأمم التي يمكن أن تعتمد على منهج ابن خلدون العلمي.

يعتبر منهج ابن خلدون ظاهرة جديرة بالاهتمام من بين المناهج العلمية لكبار المفكرين الذين عرفتهم البشرية ابتداء من أرسطو حتى هيجل، ولا تخلو دراسة المنهج الخلدوني من الصعوبة، فمن ناحية تناول كثير من العلماء المحدثين منذ بداية القرن التاسع عشر خصوصية ودقة فكره ومنهجه بالبحث والتحليل، وتوصلهم إلى آراء ومواقف ونتائج مختلفة حول منهج ابن خلدون، ومن ناحية أخرى فإن ابن خلدون نفسه كان تحت تأثيرات متباينة بسبب دراسته المبكرة في صباه والتي جمعت وامتزجت بين العلوم الدينية والرياضيات والفلسفة والمنطق، علاوة على الخبرة الواسعة التي اكتسبها في المهن المتعددة والدول الكثيرة التي عاش بها.

لا بد من وضع منهج ابن خلدون ضمن إطاره الصحيح، من أجل فهم العلاقة التي تربطه بمنهج البحث الإسلامي، والبحث عن بذور المنهج التجريبي في فكره، على اعتبار أن المنهج الخلدوني استسقى الكثير من أسسه من مصادر الإسلام سواء القرآن أو السنة أو حتى أصول الشريعة المتفق عليها عند جمهور العلماء، ذلك أن عبد الرحمان ابن خلدون لم ينطلق من فراغ لتأسيس منهجه وإنما استفاد من جهود من سبقوه من مفكرين وعلماء وحتى

محدثين، والذين تخلو عن منهج أرسطو (المنهج الصوري) وتوصلوا إلى المنهج التجريبي، ولو أنه ليس في صورته ومسمياته الجديدة، ولشرح ما ذكرناه ببعض التفصيل، ولاستقصاء مدى تأثير ابن خلدون بالطابع التجريبي والمعالجة الشاملة التي تميز بها منهج البحث الإسلامي. ومن هذا الطرح يتجلى الإشكاليات التالية:

- ما هي طبيعة المنهج عند ابن خلدون ؟
- ما هي أهم الجوانب المنهجية التي أثارها وأثراها ابن خلدون في شرحه وتفسيره لطبيعة المنهج التجريبي وخصائصه ؟
- ما هي أهم ملامح منهج ابن خلدون في الحقل العلمي؟

2. معاني المنهج وأبرز أنواعه:

لو تناولنا كلمة المنهج في معناها الاشتقاقي اللغوي لتبين لنا "أنها خطة أو أسلوب أو طريق مستقيم واضح المعالم ومنظم بطريقة عقلانية وفقا لبعض المبادئ المرتبة ترتيبا منطقيا، ولكن إذا ما تناولنا المعنى الفلسفي لكلمة منهج لوجدنا الأمر مختلف بعض الشيء، من توسع لنطاق معناه وتنوع مدلولاته من فلسفة لأخرى ومن فيلسوف لآخر ومن مدرسة لأخرى" (الهنائي، 2000، صفحة 456)، فهذا اللفظ وإن تشابكت معانيه ومفاهيمه وتداخلت مبانيه إلا أنه في الأصل "ترجمة للكلمة الفرنسية méthode ونظائرها في اللغات الأوروبية الأخرى، وكلها تعود في النهاية إلى الكلمة اليونانية méthode" (baraquin, 1995, p. 94).

ويعرف "اللاندر" المنهج على أنه "الطريق الذي نصل من خلاله وبه إلى نتيجة معينة حتى وإن كانت هذه الطريقة لم تتحدد من قبل تحديدا علميا، وهنا يطلق اسم الترتيب على فعل الفكر الذي يكون حول موضوع واحد وعدة أفكار وعدة أحكام، فيرتبها على أفضل وجه لجعل الموضوع معروفا، وهذا ما يسمى منهجا، وغالبا ما تقال هذه الكلمة على أساليب وطرق مألوفة لعقل أو لمجموعة عقول، وهي طرق يمكن تحديدها بالاستدلال سواء لتطبيقها لاحقا بنحو أوثق، أو لنقدّها وإظهار عدم صلاحها" (اللاندر، 1996، صفحة 800)، ويعرفه كذلك على أنه "برنامج ينظم مسبقا سلسلة عمليات ينبغي إكمالها، لتدل على بعض الأخطاء الواجب تجنبها، بغية بلوغ نتيجة معينة، وينحو خاص هو طريقة تقنية للحساب أو التجريب" (اللاندر، 1996، صفحة 803).

على العموم يتضح لنا أن المنهج هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو عمل شيء أو تعلم شيء ما، طبقا لمبادئ معينة وبنظام معين بغية الوصول إلى غاية معينة، كما يعتبر عصب البحث العلمي، فإذا ما بحثنا عن موضوع من الموضوعات دون أن تكون لدينا طريقة معينة أو أسلوب نعالج من خلاله هذه الموضوعات أو خطة معينة نسير وفقها فلن نصل إطلاقا إلى نتائج قيّمة.

إن عملية التزاوج والترابط بين العلوم والمناهج حتمية فرضتها السرعة الفائقة التي شهدتها العلوم، فلا علم من دون منهج، ولما كان الأمر كذلك أصبح من اللازم مسايرة العلوم للمناهج للنأي بنتائج هذه العلوم عن الزلل المعرفي والنتية العلمي، وكذلك فإن التطور والرقى الذي بلغه الإنسان في مختلف الميادين لم يكن ليكون لولا المناهج العلمية الصحيحة، ومن هنا ينبغي على العالم أن يراعي عند اختياره في دراسة أي موضوع طبيعة وماهية المنهج الذي يتلاءم مع نسق بحثه، و أن يجيب عن سؤال محدد مثل: ما نوع العلم الذي يعالج هذا الموضوع؟ وما هو المنهج المناسب لهذا العلم؟ وهل تستخدم العلوم جميعا منهاجا واحدا؟ أم أن مناهجها تتعدد بتعدد مواضيعها؟ وسنحاول أن نستعرض أربعة أنواع من المناهج على النحو التالي:

1.2: المنهج التاريخي:

وهو طريق معين يتبعه الباحث في جمع معلوماته عن الأحداث والحقائق الماضية، "عن طريق فحصها ونقدتها وتحليلها والتأكد من صحتها، واستخلاص التعليمات والنتائج العامة منها والتي لا تقف فائدتها على فهم الماضي فقط، بل والتخطيط المستقبلي أيضا، ومهما ادعى أصحاب هذا المنهج من الموضوعية والدقة فإن نتائجها ذاتية بدرجة عالية وغير يقينية، لعدم إمكان إخضاعها لطرائق العلم التجريبي الحديث القائم على الملاحظة والتجربة، كما أنه لا يكمن للمؤرخ أن يلاحظ جميع أحداث التاريخ بنزاهة واستيعاب، فهذه الأحداث كما هو معلوم تحدث مرة واحدة في زمانها ومكانها، وقد تجرى بشكل مفاجئ وفي ساحات متعددة مما يصعب الإحاطة بها بدقة وموضوعية" (ماهر عبد القادر محمد ، 1982، صفحة 27).

2.2: المنهج الاستنباطي :

يعرف كذلك بالمنهج الرياضي، "ويبدأ بالضرورة من بعض القضايا شديدة العموم التي نسلم بها دون أن نقيم عليها برهان، وبمعنى آخر هو منهج استدلالي ينتقل من أساس عقلي إلى قضايا تنتج عنه بالضرورة دون اللجوء إلى التجربة، والنتائج التي نتوصل إليها في هذا المنهج تنسم في الغالب باليقين المطلق، كونها تعتمد على شروط عقلية، كما أن استعماله يتسع ليشمل مجال العلوم الرياضية والمنطقية" (وهبة ، 1997، صفحة 23).

3.2: المنهج الفرضي الاستنباطي :

وفي هذا المنهج يحدث تداخل بين المنهج الاستقرائي التقليدي والذي يمثلته "بيكون وميل"، والمنهج الرياضي العقلي الذي يمثلته "ديكار্ত" أحسن تمثيل، ويعني هذا المنهج بالعمل من خلال الجمع بين الملاحظة والتجربة والرياضيات كأداة زودت المنهج التجريبي بفعالية معينة مكنته من تحقيق نتائج دقيقة ومضبوطة.

4.2: المنهج التجريبي:

ويسمى أيضا بالمنهج الاستقرائي، ويعتمد على الملاحظة والتجربة في التحقق من صدق المعرفة للوصول إلى قوانين، أي أن هذا المنهج يقوم على الانتقال من الجزئيات إلى الكليات، كما أن قوانين ونتائج هذا المنهج لا ترقى إلى اليقين المطلق ولكنها قد ترقى إلى التصديق بدرجة عالية، وسنحاول أن نركز في مقالنا هذا على بذور المنهج التجريبي في فكر وفلسفة ابن خلدون وميدان استخدامه وكيفية استخدامه، ونقاط الظل التي لم يتطرق إليها الدارسون لمنهج ابن خلدون أو حتى الدارسون لعلم المناهج عند المسلمين.

3. المنهج التجريبي عند ابن خلدون:

يمثل ابن خلدون نقطة تحول في الفترة الفاصلة بين علو كعب الأمة وسقمها وانحطاطها، حيث تأتي مكانته في كونه انتصب في ملتقى الاتجاهات التاريخية والفلسفة والفكرية والفقهية وحتى الصوفية، فلقد كان شخصية غير متوقعة بالنسبة لعصره، ذلك العصر الذي بلغ فيه تفكك العالم الإسلامي مبلغه بين دويلات طائفية متناحرة وبين تقسيم للعالم الإسلامي وانحصار سلطة المسلمين علميا وسياسيا وثقافيا، حتى بقيت شخصيته مغمورة وضائعة وسط صخب هذا الصراع، إلى أن ترجمها الأوروبيون أولا واستفادوا منها، ثم وصلتنا بعد أن نهل منها الغرب جل ما يحتاجه منها، ومنزلة الباحث والمفكر في تاريخ العلوم والأفكار لا تتعين بملاحظة جميع الآراء الصائبة والخاطئة في كتاباته ومؤلفاته المختلفة، بل تتقرر بملاحظة الآراء المبتكرة التي يسمو بها على معاصريه بالحقائق الجديدة التي يضيفها إلى المكتبات الفكرية.

وابن خلدون هو العالم الإسلامي ومؤسس علم العمران والمؤرخ والفيلسوف والمربي والفقيه، وقد أفرد فصلا كاملا من مقدمته لشرح التربية وأساليبها، وخصائص المعلم وتصنيف العلوم صحيحها من فاسدها، وأورد لنا ما يستوجب سلوكه من طرف الباحث للوصول إلى ضالته العلمية، ولما كان الأمر كذلك كان لا بد لنا من البحث عن آلية المنهج المتبع في تحقيق العلم الصحيح عنده، وأضحى لزاما علينا البحث عن بذور المنهج التجريبي بمفهومه الحديث لغويا، وبهيكله القديم منهجيا عند ابن خلدون، الذي يمثل رمزا من رموز الأمة الإسلامية فكريا وعلميا، والذي يسعى مجتمع اليوم إلى الوصول إلى هذا المستوى العلمي والفكري في ظل تناقض وتلوّث المناهج العلمية الحديثة ما بين التراث الغربي المنشود والتراث الإسلامي المفقود، الذي أوقع المتعلمين في صراع بين الأصالة لمجتمعهم ومعاصرة الآراء الغربية ووجدوا أنفسهم في خضم هذا التجاذب تائهين بين مستقبل منشود وماضي مسلوب وحاضر غائب.

قد يلتقي ابن خلدون مع بعض المفكرين في رؤيته المنهجية لشتى حقول العلوم والمعرفة، إلا أن رؤيته في تصيد المعرفة ونهج منهجها القويم تنفّز فوق حدود الزمن وتحقيقات الحاضر، إذ لا بد من الاعتراف أن المنظور والنسق الخلدوني يتضمن أفكاراً أصيلة ومتقدمة بالنسبة للفترة التاريخية التي عاش فيها (1332-1406م)، فعندما كتب ابن خلدون ملامح منهجه لم يكن قد ظهر للعلوم منهجا واضح المعالم في تلك الفترة، لكن ابن خلدون لأمس كثيرا من خصائص العلوم ووقائع التدريس وطرق المعرفة الخاصة بعصره وبعصر غيره، وكان له فضل السبق إلى كثير من الطرق العلمية الحديثة، خاصة ما تعلق منها بمبدأ المناهج وسلوكيات الباحث وآداب المعلم ومراعاة استعدادات وكفاءات المتعلمين، وكذا الشروط الواجب توفرها في المعلم والمتعلم، فقد تنبّه إلى ما تنبّه إليه العلماء في زماننا أن التعليم هو عملية ديناميكية متواصلة، وليست جرعة واحدة، وأن طريقة التعليم - التدريس - المفيدة، هي التي تعتمد على الحوار والتعليم الذاتي وحل المشكلات، وذلك بإبراز الكفاءات والاستعدادات، معتبرا أن المتعلم هو الغرض - الهدف -، وطبيعته هي محور العملية التربوية والتعليمية.

كما أن لابن خلدون فكرة هامة تتفق مع الآراء المعاصرة في التعليم، وهي الربط بين القدرات العقلية والجسمية، حيث يرى أن هذه القدرات تتعاون لاكتساب مهارات التزويد بالمعرفة، لأن التعليم عنده لا يعتبر نشاطا فكريا تجريديا بعيدا عن الواقع الملموس وعن الغايات النفعية في الحياة فقط، بل إن كل معرفة وخبرة يمر بها الإنسان لابد وأن تؤثر في عقله، فيظهر هذا التأثير في سلوكه إزاء المواقف الجديدة في الحياة، لأنه يمتلك رصيدا من الثقافة والخبرة التي تمكنه من قياس المشاكل التي تعترضه بأجزاء المشاكل الأخرى التي صادفته في الماضي، وبالتالي كل تعليم يهدف إلى غاية ما أو يعبر عن سلوك ما هو يسعى لمساعدة الفرد البشري على أن يحيا حياة طيبة.

4. الشروط المنهجية والعلمية للمنهج التجريبي عند ابن خلدون:

إن الممارسة العلمية تنظم بمبادئ منطقية وعقلانية يقوم على أساسها فهم وتفسير الظواهر العلمية والوقائع المعرفية، فعلم المناهج كما أضحى يسمى له صلة وثيقة بالعلوم كافة إن لم نقل أنه بداية وشرط لكل علم صحيح، إذ أن المناهج مفاتيح العلوم، ولذلك فقد تفرعت فيه الدراسات وتنوعت خصوصا بعد الثورة العلمية التي شهدتها القرون الثلاثة الأخيرة، وقد قامت حول علم المناهج مؤتمرات وندوات كثيرة أكد معظم قراراتها على الرجوع دائما وأبدا إلى كتب المناهج لتحقيق الغاية الحقيقية لكل ظاهرة عملية منشودة، ومن عجيب التاريخ أن المسلمين كانت لهم البدايات الأولى في الحرص على صرامة المنهج في كل مجالات المعرفة الإنسانية، وإن لم تكن بشكلها الحالي إلا أنها تتفق مع الدعوات المنهجية المعاصرة في إلزامية توأمتها مع روح العلم، ولعل القارئ لمقدمة ابن خلدون يجد ميلا بارزا للمعرفة المنهجية في طريقة تناولها للعلوم.

لقد غلب على الكثير من المتابعين للشأن المنهجي أن اعتماد المنهج التجريبي يؤول إلى الحضارة الغربية حين ثارت على المنهج الأرسطي وتمردت على النزعة اليونانية في منهجية البحث، كما تنسب الدعوة إلى المنهج التجريبي إلى المفكر الانكليزي فرانسيس بيكون، ويغالط بعض ناقدَي الحضارة العربية أنها أغرقت في الغيبيات ولم تعرف المنهج التجريبي إلا حديثاً بعد التأثير بالحضارة الغربية، فهل يصدق مثل هذا الادعاء إذا استدعينا نصوص ابن خلدون للشهادة المعرفية؟ وكيف نفسر حرص ابن خلدون على تبني المنهج التجريبي في مسائل مقدمته؟ وماذا عن الشروط التي حددها ابن خلدون كقواعد أساسية في الفكر العلمي؟، وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة وجب علينا أن نشير إلى مصادر العلوم التي عدها ابن خلدون كمنابع للعلم والتي تتمثل في:

1.4: العقل التمييزي: وهو مصدر بعض العلوم، ويتمثل في التمييز كمرحلة أولى من مراحل الإدراك التي يقف الإنسان أمامها كل ما مرّ بظاهرة علمية، ويكون خالياً فيها من أي علم، وفي هذه المرحلة يكون العقل مهياً وقابلاً لأن يصبح فكراً بالقوة، ويدرك ما حوله بفضل ما ملك الإنسان من حواس وجوارح.

2.4: العقل التجريبي: إن الإنسان مدني بطبعه، ولا يمكن أن يحيى منفرداً، فهو بحاجة إلى المساعدة من بني جنسه، والتعاون معهم، بالمشاركة والمفاوضة، وقد يحدث بينهم التآلف والتشاجر والتنازع، والحرب والسلم...، لكن بفضل هذا العقل التجريبي يمكن لهذا الجمع الاجتماعي أن يحدث قوانين حكيمة مبنية على خبرات سابقة يدرأ بها المفساد ويجلب بها المصالح وينئ بنفسه وبمجتمعة عن سبل المهالك، والمعاني التي تحصل للإنسان نتيجة التعامل، والخبرة في هذا العقل تدرك بالتجربة، ويكون التعلم في هذه المرحلة عن طريق الاكتساب والتكرار والاستخلاص، وهذا من أجدي وأفضل أنواع التحصيل العلمي.

3.4: العقل النظري: وهو ما يحصل به تصور الموجودات الغيبية والمشاهدة من قبل، وقد أشار ابن خلدون في معظم كتاباته على أن الفكر هو الذي يميز الإنسان عن سائر الحيوان، وبه يهتدي إلى معاشه وإلى اجتماعه مع أبناء جنسه، فالإنسان مفكر دائم، ومن هذا التفكير تنشأ العلوم والصنائع، وقد يكون مصدر العلوم بالنظر إلى العلوم والدراسات السابقة، سواء علم من علوم الأنبياء والمرسلين أو علم من العلماء السابقين (ابن خلدون، صفحة 485).

5. تجليات المنهج التجريبي عند ابن خلدون:

يرى ابن خلدون "أن العلم هو صورة المعلوم في الذات بعد أن لا تكون حاصلة" (ساطع، 1967، صفحة 143)، وهي رغبة موجودة في كل إنسان فطره الله عليها وجُبلت نفسه على معرفة كل ما خفي عنه، "إذ أن الإنسان يكون راغباً في تحصيل ما ليس لديه من الإدراكات، فيرجع إلى من سبقه بعلم، أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك، أو

يحاول أخذه من الأنبياء أو العلماء الذين سبقوه، كما أنه يحرص على تعلمه وتعليمه" (ساطع، 1967، صفحة 144).

ولكن هذه الرغبة لا تتحول إلى علم صحيح إلا في المجتمعات المتحضرة والمهيأة، حيث أن قابلية هذه المجتمعات وتعطشهم لكل ما هو مجهول بغية إشباع هذه الرغبة عقليا وروحيا، لا تتأتى حسب ابن خلدون إلا كانت وفق منهج سليم، ويقول في هذا الصدد: "وصارت العلوم كلها ملكات في الاستنباط والاستخراج والتتظير والقياس، واحتاجت إلى علوم أخرى، وهي وسائل لها من معرفة قوانين العلوم وقوانين ذلك القياس والاستنباط فصارت هذه العلوم كلها ذات ملكات محتاجة إلى التعليم، فاندرجت في جملة الصانع..... فصارت لذلك حضرية" (عبد الرحمان ابن خلدون، 1982، صفحة 839)، ولا يمكن للعقل أن يتوصل إلى مطلبه إلا إذا تمكن بصحيح النظر أن يتابع في سيره طرقا منظمة، ولولا إتباعه هذه الطرق المنظمة لसार على غير هدى، ولظل السبيل من غير أن يصل إلى غاية ما، والمطلوب في العلم هو الكشف عن الحقيقة والبرهان عليها، ولذلك فنجاح العلماء في الوصول إلى اكتشافات علمية إنما يعود إلى الطريقة أو المنهج المتبع، وقصورهم في ذلك لاشك أنه يعود إلى الطرق الفاسدة التي تأخذهم إلى فقدان عبقرتهم أو تضعف تفكيرهم.

وما وصلت إليه العلوم التجريبية اليوم من قطعها لأشواط كبيرة وتحقيقها لنتائج ظاهرة إنما يعود إلى منهجها العلمي القويم، وقد اتفق العلماء على تعريف المنهج بأنه: "تحليل منسق وتنظيم للمبادئ والعمليات العقلية والتجريبية التي توجه بالضرورة للبحث العلمي أو ما يؤلفه بنية العلوم" (قاسم، 2003، صفحة 140)، وقد حددت خطوات هذا المنهج حديثا على يد العالم الانجليزي فرانسيس بيكون، عندما دعا إلى تصور جديد للعلم، فالعلم الصحيح عنده هو القائم على التجربة والملاحظة، وقد سبقه ابن خلدون في تحديد معالم المنهج التجريبي عندما وضع مجموعة من الضوابط والشروط التي تحدد معالمه بالشكل الحالي مع اختلاف بسيط في المسميات، ويكمن فضل ابن خلدون في دعوته إلى إصلاح العلوم باستخدام المنهج التجريبي، وفي الروح العقلية والعلمية التي كانت سائدة في تلك الفترة حتى صار من رواد هذا المنهج ومن دعائه إبان ذلك العصر.

إن طريقة أي علم من العلوم تخضع في الغالب لطبيعة الموضوع المدروس، ولما كان موضوع العلوم الطبيعية حسي أصبح من اللازم أن تكون الطريقة أيضا حسية تجريبية، حيث يبدأ الباحث بالملاحظة والملاحظة ثم يعمد إلى تحليل المعقد من الظواهر ووضع تعليم مؤقت للظاهرة المدروسة، ومن ثمة يتبين ما كان قد افترضه عن طريق التجربة ليصل إلى قانون معين، وهذا ما أطلق عليه ابن خلدون بالاستقراء، وهنا تبرز مجموعة من الخطوات التي

وضعها ابن خلدون كعناصر أساسية للمنهج الاستقرائي والتي أصبح اليوم متعارفا عليها تحت وصاية المنهج التجريبي ألا وهي:

1.5: مبدأ السببية:

يقول ابن خلدون في مقدمته أن "الفكر يدرك الترتيب بين الحوادث بالطبع أو بالوضع، فإذا قصد إيجاد شيء من الأشياء، فالأجل هو الترتيب بين الحوادث التي لا بد من التفتن لسببها أو علتها أو شرطها" (ابن خلدون، 1982، صفحة 331)، فوجود أي شيء هو نتيجة حتمية لسبب أدى إلى وجوده، علما أن الأسباب يمكن أن تكون فطرية، كما يمكن أن تكون وضعية أو موجودة مسبقا لتؤثر على الهدف المنشود مسبقا، بمعنى أن الأسباب دائما تسبق النتائج، وهذه العلاقة المنتظمة بين السبب والنتيجة والتي تفتن إليها ابن خلدون، هي أهم مهارة تبنى على أساسها القوانين الوضعية، وقد حاول د. عبد الغني مغربي تفسير مبدأ السببية عند ابن خلدون في قوله أن "السببية عند ابن خلدون هي السببية الحتمية القائمة على العقلانية الواقعية" (كردي، 1984، صفحة 180)، والتي يمكن التحقق منها في الواقع اعتمادا على الملاحظة والتجريب للوصول إلى العلاقة الثابتة بين السبب والنتيجة.

يوصل د. مغربي في تفسيره لهذا المبدأ حين صرح بأن "ابن خلدون يقدم الحتمية السببية على أنها موضوعية - أي أنها مستقلة عن إرادة الإنسان-، فهو يميز بين ما هو ضروري وما هو طارئ" (كردي، 1984، صفحة 189)، ومنه فتفسير د. مغربي لمبدأ السببية عند ابن خلدون كقاعدة أساسية في الممارسة العلمية تعكس الروح العلمية والملكة التي تميز بها ابن خلدون في تحديده لقواعد المنهج العلمي، بحيث لم يعرض السببية كمبدأ علمي فقط وإنما أعطاها تحليلا وتفسيرا يسمح بالارتقاء بها لمستوى العلمية، وذلك من خلال التحقق السببي بين العلاقة لا والتزام الباحث بالموضوعية والفتنة إلى المستوى الذي يسمح بالتمييز بين الارتباطات العابرة والارتباطات العميقة بين مختلف الظواهر العلمية.

كما تجدر الإشارة إلى أن أبو حامد الغزالي قد سبق ابن خلدون في تحليله لمبدأ السببية، بحيث "يذهب الغزالي بداية إلى أن أساس التجريبيات هو اطراد الحوادث وربطاً بين العلة والمعلول، ويقول إن هذا الاطراد ضرورة عقلية ينال بها الإنسان الثقة بصحة التجربة، إلا أن الاطراد نفسه عنده غير ضروري، فقد يحدث المقدم متأخراً والمتأخر متقدماً" (كردي، 1984، صفحة 190)، فإذا كان أبو حامد الغزالي قد سبق ابن خلدون في تحليل العلاقة السببية، إلا أن طريقة تفسيرهما متباينة بالرغم من اتفاقهما في أهمية التحقق مع العلاقة السببية للتحكم في الأحداث، بحيث يرى الغزالي أن النتيجة قد تكون سببا كما قد يكون السبب نتيجة، لهذا فالاطراد عنده غير مهم، إلا أن ابن خلدون

كان أكثر عمقا ودقة في تفسير هذه العلاقة بالبحث في تسلسل وترتيب الأسباب، والتحكم في الحوادث بحيث يوضح آلية التحكم في الأسباب المسببة لها.

ويطوف على السطح اهتمام ابن خلدون بربط المبادئ العلمية للوقائع بالأسباب لتفسير الحوادث والكشف عن مسبباتها وهو جوهر المنهج التجريبي الحديث، فالحوادث الطبيعية هي تكرار للحوادث الطبيعية السابقة سواء كانت في شروط طبيعية أو شروط مصطنعة لكي يسهل ملاحظتها، يقول كلود بيرنارد: "إن للملاحظ وللمجرب هدفا واحدا مشتركا، وهو مشاهدة الحوادث وضبطها بالوسائل العلمية الدقيقة، إلا أن هناك فرقا واحدا بينهما وهو أن المجرب لا يشاهد الحوادث كما هي عليه في الطبيعة، بل يشاهدها في ظروف يهيئها هو بنفسه" (صليبا، الصفحات 565-566)، ولذلك يمكن اعتبار التجربة ملاحظة علمية ثانية، وهذا ما أكد عليه ابن خلدون في مقدمته.

2.5: مبدأ التجريب:

وهو امتحان للتحقق من تأثير السبب على الظاهرة لمعرفة العلاقة التي تربط بينهما، وهو أحد أهم الأساليب والطرق للتحقق في البحث العلمي خاصة والعلوم الأخرى عامة، وقد أشار ابن خلدون لضرورة الاختبار بالتجربة لاكتشاف الحقيقة وللتمييز بين صحيح المعلومة وخطئها، ولتأكيد الأحكام من عدمها، وهو أسلوب موضوعي للتحقق من العلاقة السببية التي تربط بين مختلف العناصر، كما تساعد على كشف العلاقة الثابتة بين العناصر، والتي تترجم إلى قوانين علمية وأحكام نهائية للأجيال القادمة، بحيث لا يمكن الطعن فيها غالبا، وقد عبر ابن خلدون عن هذه الأفكار في مقدمته، إذ قال: "البشر بما جعل الله فيهم من انتظام الأفعال وترتيبها بالفكر كما تقدم، وجعل ذلك منتظما فيهم ويسرهم لبلوغ قوانين حكيمة، يفرقون بها الفاسد من الصالح والقبیح من الحسن، بعد أن يميزوا القبیح من الفاسد، بما ينشأ من الفعل عن تجربة صحيحة" (ابن خلدون، 1982، صفحة 839).

والرجوع للواقع المحسوس واختبار العلاقة بالتجربة، كفيل بفهم وتفسير نظام الواقع والتحكم فيه بما يتوافق مع ما وصل إليه جابر ابن حيان في الكيمياء، حيث، صرح د. محمود السعيد الكردي "تلاحظ التطابق التام بين خطوات المنهج الخلدوني وعلم جابر ابن حيان، فمراحل التمييز والنظر والبرهان عند ابن خلدون هي نفس المراحل التي رتبها جابر ابن حيان في العلوم الطبيعية" (كردي، 1984، صفحة 225)، وقد وضع د. زكي نجيب محمود في مرجعه جابر ابن حيان: أعلام العرب، بأن المنهج التجريبي عند جابر ابن حيان ذو طريقة مباشرة وواضحة، بحيث قال: "الفكرة الرئيسية من مباحث جابر ابن حيان الكيميائية: ... قد عملته بيدي وبعقلي من قبل، وبحثت عنه حتى صح وامتحنته فما كذب، فعمل باليد أولا، وعمل بالعقل فيما حصلته اليد ثانيا، حتى ننتهي منه إلى نظرية مفروضة ثم امتحان تطبيقي ثالثا للغرض العقلي الذي فرضناه" (كردي، 1984، صفحة 233).

فملاحظة الظاهرة وتمييزها ثم التحقق والبرهنة والتأكيد عليها واستخلاص نتائجها، هي خطوات أساسية من خطوات المنهج الخلدوني، بالإضافة إلى أنها خطوة أساسية يقوم على أساسها المنهج التجريبي، وهي نفس الخطوات التي يُعمل بها حالياً في المنهج التجريبي الحديث، وعلى هذا يمكن ترتيب خطوات المنهج اعتماداً على التجريب العلمي حسب ابن خلدون وأبو حامد الغزالي وابن الهيثم، في الانطلاق بالاستقراء من الواقع القابل للملاحظة والتمييز لعناصره ومكوناته، ثم الانتقال لمرحلة البرهنة والتحقق بالنقد وبتقديم الحجج والأدلة لإثبات صدق المقدمات وإزالة الأخطاء والشوائب منها، للوصول إلى النتائج التي تعكس الحقيقة المبرهن عليها بالأدلة والحجج المادية المقنعة، علماً أن هذه الخطوات التي تعرض لها ابن خلدون في القرن الرابع عشر هي من أساسيات المنهج التجريبي الحديث الذي ينسب لصاحبه فرانسيس بيكون.

3.5 مبدأ تحكيم أصول العقل:

يرى ابن خلدون أن ما يميز الإنسان عن الحيوان هو العقل والتفكير، وهما من أهم العناصر التي تتوقف عليها تصورات وأفعال الأفراد، وقد عبر ابن خلدون عن مستويات العقل كالتالي: "وهذا هو العقل التجريبي، وهو يحصل بعد العقل التمييزي الذي تقع به الأفعال كما يبناه بعد مرتبة العقل النظري الذي تكفل بتفسيره أهل العلوم" (ابن خلدون، 1982، صفحة 333)، إذن فالعقل التمييزي الذي يصنفه ابن خلدون في المستوى القاعدي يشمل أول مهارات التعلم وهي التمييز بين مختلف العناصر وفهم الشيء مثلما يمليه الواقع المحسوس في شكله البسيط والساذج، أما العقل التجريبي فهو يخص مستوى أكثر نضجاً، إذ يخضع العقل إلى ما تمليه الحواس للتحليل والتمحيص والتجريب في الواقع، قصد الوصول إلى خفايا الظواهر الأكثر عمقا، في حين أن العقل النظري يخص العلماء والمشايخ الذين لهم عمق النظر في التحليل والتفسير والتنظير.

وقد اجتهدت الباحثة ناجية الوريدي بوعجيلة في كتابها المعنون "حفريات في الخطاب الخلدوني الأصول السلفية وهم الحداثة العربية"، في تحليل مستويات العقل عند ابن خلدون، حيث أن "الأول [العقل التمييزي] ينظم حياة الإنسان في محيطه الطبيعي، والثاني [العقل التجريبي] ينظم حياته في محيطه الاجتماعي، بما يكتسبه من تجارب، ثم يأتي العقل النظري والذي يجرد المعاني ويؤسس المعارف والعلوم" (بوعجيلة، 2008، صفحة 53).

فإذا كان ابن خلدون واضحاً في تفسير مستويات العقل حسب الوظيفة التي يؤديها في كل مستوى، فإن الباحثة ربطت هذه المستويات بالبيئة التي تتفاعل معها، فالمستوى التمييزي الذي يركز على ما تمليه الحواس من البيئة المحيطة به سواء كانت طبيعة أو اجتماعية هو الأكثر نضجاً، بحيث نجد أن النظر فيه يتعمق في الخلفيات الناتجة عن التفاعل والاحتكاك بالغير، وبالتالي تكسب المعرفة من خلال العلاقات مع الغير أكثر ما تكسب من

تجارب الحياة الاجتماعية صورا لا يمكن ملاحظتها بالعقل التمييزي، أما المستوى الثالث والذي يبلغه عامة الحكماء والعلماء، فهو المستوى التجريدي الذي يقوم على استنباط واستقراء المعارف العلمية في مختلف العلوم، والذي غالبا ما يتوصل إلى بناء نظريات وقوانين، علما أن القدرات العقلية للأفراد درجات ومستويات فمنهم من يبلغ المستوى التمييزي ومنهم من يبلغ المستوى التجريدي ومنهم من يبلغ المستوى التجريبي، وهذا الأخير حسب ابن خلدون يجب أن تتوفر فيه الحكمة والذكاء وقوة الفطنة.

6. مصادر المنهج التجريبي عند ابن خلدون:

لقد ذكرنا سابقا أن ابن خلدون قد اعتمد على عدة مصادر لتغذية معارفه العلمية، نتيجة المعاشية والملاحظة الميدانية اللتان طبقهما من خلال تنقلاته ورحلاته المستمرة وكانتا من العناصر الأساسية اللتان ساهمتا في نضجه الفكري والعلمي، وقد اعتبر عبد القادر عرابي "حياة ابن خلدون مدرسة استطلع من خلالها مجتمع عصره، فلاحظ حوادث الأيام فجمعها وصنفها وكشف عن عللها وأسبابها، مدلا في ذلك على طبائعها وقوانينها" (عربي عبد القادر، 2008، صفحة 55)، وإلى جانب اعتماده على مصادر أساسية أخرى في اكتساب المعارف بالرجوع لما أنتجه العلماء السابقون كأبي حامد الغزالي وابن الهيثم وجابر بن حيان وغيرهم من المفكرين الذين قرأ لهم أو تأثر بهم، إلى جانب ملازمة من عايشهم أمثال أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، فتعددت بالتالي مصادر حصوله على المعرفة وساهمت في إضفاء الفعالية على ممارساته العلمية، وعلى التصورات التي يحملها حول الكيفية التي يؤدي بها هذا النشاط الفكري.

وحتى تكون الطريقة المعتمدة في الوصول للمعارف العلمية فعالة، "ابتكر ابن خلدون منهجا حديثا يقوم على استقراء واقع عصره ومجتمعه معتمدا في ذلك على ملاحظاته ومشاهداته وخبراته، فلقد نحا منحى تجريبييا، إذ لاحظ حياة وسلوك الجماعات التي عاش بين ظهرانيتها واستقرئ القوانين التي تحكمها من خلال مقارناته للظواهر الاجتماعية التي لاحظها داخل المجتمع وفي المجتمعات الأخرى" (عربي عبد القادر، 2004، صفحة 47)، علما أن هذه الخطوات التي اعتمد عليها ابن خلدون كانت شائعة لدى علماء عصره أو الذين سبقوه، كجابر بن حيان وابن الهيثم، وأبو حامد الغزالي، وابن رشد، وابن تيمية وغيرهم من العلماء، إلا أن منهجية ابن خلدون "تشكل منعطفًا جديدا في فلسفة المعرفة ونظرياتها، لا لأن ابن خلدون أول من استخدم هذا المنهج في دراسة الظواهر العلمية، وإنما لأن المقدمة تعد دراسة ميدانية تجريبية" (عربي عبد القادر، 2008، صفحة 47)، بحيث تم إنجازها اعتمادا على الخطوات والقواعد المنهجية التي سطرها أثناء إعدادها، كما زودها بملاحظاته وتجاربته الميدانية ومن معاشيته لمختلف الأحداث التي صنفها في فصول وأبواب في مقدمته.

إن عبقرية ابن خلدون لم تقتصر على درجة التحرر من التصورات السائدة في زمنه بإخضاعها للنقد والتقييم، قصد إبراز الأخطاء التي كانت شائعة لدى علماء عصره، ولا بترتيب خطوات منهج البحث، وإنما في كيفية تطبيقه، فالتقرب الاستقرائي في البحث يقوم على دراسة الظاهرة الموجودة في الواقع أو المادة القابلة للملاحظة للكشف عن خصائصها وعلاقتها بالظواهر الأخرى، والتحقق منها بالتجريب والمقارنة للوصول إلى الحقيقة الموجودة في الواقع علماً أن ابن خلدون قد طبق منهجه لتصحيح الأخطاء الشائعة المنتشرة لدى مؤرخي عصره في كتابة التاريخ، إلى جانب تطبيقها في بحوثه حول التجمعات البشرية مما ساعده على اكتشاف علم العمران البشري - أي علم الاجتماع- الذي لم يكن معروفاً آنذاك.

7. دعوة ابن خلدون إلى المنهج التجريبي:

عند دراسة مقدمة ابن خلدون يتضح لنا فلسفته الواقعية المستمدة من واقعه المعاش وتجاربه الشخصية التي نلمس في طياتها أصول المنهج التجريبي ودعوته لتبنيه منهج يتناول الظواهر العلمية من خلال المبادئ التالية:

1.7: مبدأ الحس: يقول ابن خلدون في الفصل الثاني عشر في العقل التجريبي وكيفية حدوثه "هذه المبادئ التي يحصل بها ذلك لا تبعد عن الحس كل البعد، ولا يتعمق فيها الناظر، بل كلها تدرك بالتجربة" (ابن خلدون، 1982، صفحة 841)، وما يؤكد ذلك استعمال ابن خلدون مصطلح الشهادة الذي يقابله حديثاً مفهوم الملاحظة في المنهج التجريبي، يقول ابن خلدون في الفصل الثالث عشر في علوم البشر وعلوم الملائكة: "إننا نشهد في أنفسنا بالوجدان الصحيح، وجود ثلاثة عوالم، أولها: عالم الحس ونعتبره بمدارك الحس الذي شاركنا فيه الحيوانات بالإدراك، ثم نعتبر الفكر الذي اختص به البشر فنعلم منه وجود النفس الإنسانية علماً ضرورياً بما بين جنبينا من المدارك العلمية التي هي فوق مدارك الحس، فتراه عالماً آخر فوق عالم الحس، ثم نستدل على عالم ثالث فوقنا بما نجد فينا من آثاره التي تلقى في أفئدتنا من عالم فوق عالماً وهو عالم الأرواح والملائكة" (ابن خلدون، 1982، صفحة 843).

عالم الحس هو ما عبر عنه ابن خلدون في الفصل الثاني عشر بالعقل التجريبي، وهو يدرك بالتجربة الصحيحة التي لا تبعد عن الحس كل البعد، ولا يتعمق فيها الناظر بل يستكف بها من القبيح إلى الحسن لإيقاع أعماله على وجوه سياسية وقوانين حكيمة، ولذلك فكلما جاوز الحس فإن العقل التجريبي لا يشتغل عليه كعلوم الهندسة والسحر وعلوم الدين والعلوم التي تؤخذ بالاستماع والعلوم ذات الطابع الحسي، ففيها يتجلى ميدانه كالطب والبناء و الفلاحة والصناعة وأحوال المجتمع.

2.7: مبدأ التحقق في الواقع:

يقول ابن خلدون في مقدمته في الفصل الثامن والعشرين، علوم السحر والطلسمات: "ورأينا بالعيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحاوله على أن يصبح مسحورا"(ابن خلدون، 1982، صفحة 927)، ويقول أيضا: "وشاهدنا أيضا من المنتحلين بالسحر وعملهم من يشير إلى كساء أو جلد، ويتكلم عليه في سره، فإذا هو مقطوع متخرق، ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج، فإذا أمعاؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض" (عبد الرحمان ابن خلدون، 1982، صفحة 928).

يقابل مبدأ التحقق في المنهج التجريبي مبدأ الاختبار أو التجربة، والقصد في ذلك عند ابن خلدون أن العلوم التي يمكن إنزالها إلى الواقع بالملاحظة يستطيع الدارس أن يحقق النظر في ثباتها أو تغيرها، ومع ذلك لم يثبت ابن خلدون القدرة السحرية إلا باشتراط التحقق في الواقع، ويظهر ذلك عند ما يقول: "لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه بذلك، وأخبروني..."(ابن خلدون، 1982، صفحة 228)، فهو يشترط اللقاء والملاحظة بالإضافة إلى الإخبار، فابن خلدون يجعل الواقع هو الذي يصدق النص أو يكذبه، وبالتالي فإن ابن خلدون يمكن الحكم عليه بأنه لا يمثل نقطة تحول في التفكير الإسلامي فحسب، بل يعتبر مرجعية ومكسبا حتى للتفكير العالمي.

3.7: مبدأ الصدق والكذب:

ويقابله عند أنصار المنهج التجريبي، المبدأ الأخير من مراحل المنهج وهو النتيجة ووضع القانون، والقصد عند ابن خلدون أن تمام مرحلة التحقق في الواقع هي التي تمنح الدارس التأكد من الواقعة المدروسة، فإن صدقها الواقع تكون صادقة وإن كذبها الواقع تكون كاذبة، فالصدق والكذب هنا مختلف عن الصدق والكذب في الأمور المنطقية والسمعية، يقول ابن خلدون في المقدمة في الفصل الثاني عشر المتعلق بالعقل التجريبي وكيفية حدوثه: "بل كلها تدرك بالتجربة وبها يستفاد، لأنها معان جزئية تتعلق بالمحسوسات، وصدقها وكذبها يظهر قريبا في الواقع، فيستفيد طالبا من حصول العلم من ذلك"(ابن خلدون، 1982، صفحة 841).

4.7: المنهج التجريبي من آفاق المعرفة الإسلامية عند ابن خلدون:

يتفرد المنهج التجريبي عن غيره من المناهج بإجراء التجارب للحصول على نتائج، ويستخدم التجارب لاكتشاف أسباب الظواهر وعللها والمؤثرات التي تؤثر في الظواهر العلمية، فهو يلجأ إلى التحديد الدقيق للأسباب والمتغيرات التي تؤدي إلى إحداث الظاهرة وتسييرها والتحكم فيها، وقد أشار ابن خلدون في معظم كتاباته على وجوب أعمال هذا المنهج القويم كسبيل لنيل المعرفة الصحيحة، وهذا ما يجعله يشترك مع غيره من المناهج العلمية الأخرى في إجراء التجارب على الظواهر وتحليل الوقائع والعينات للكشف عن أسباب عللها، إلا أنه يختلف عنها في أنه منهج

محفوظ مقصود غير حيادي، فهو لا يكتفي بإجراء التجارب المتعلقة بالظواهر، وإنما يحدث تغييرات في تجاربه ويخلق أسبابا تؤثر على الظواهر والوقائع.

لقد دعا ابن خلدون للاستعانة بالمنهج التجريبي وذلك جليّ في قوله: "إن كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا له طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله، فإذا كان الباحث عارفا بطبائع الحوادث والأحوال في وجود الظواهر ومقتضياتها أعانه في ذلك المنهج التجريبي لتمحيص الخبر و تمييز الصادق منه من الكاذب، ويضع قانونا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار وذلك بالمرور على مراحل المنهج التجريبي وتمييز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبيعته"(الساعاتي ، 2006، صفحة 148).

وبإيجاز مقصود يمكننا أن نقول أن المنهج التجريبي يلجأ إلى إحداث تغيير في الوقائع والظواهر للحصول على نتائج جيدة ويستخدم إجراءات لإثبات صحة وسلامة فرضياته التي يضعها، فالأساس الذي ينطلق منه ابن خلدون في دراسته للظواهر العلمية أو الاجتماعية متعلق بمفهوم الطبيعة البشرية، أي بمجمل الاستعدادات الجسمية والعقلية للباحث أو الدارس للظواهر العلمية، كما لا يجب التعامل مع المنهج الخلدوني ضمن الأطر الفكرية والاجتماعية التقليدية.

يمنع منهج ابن خلدون النفس من الإغراق في التجريد الصوري، أو أن تقع في قطب المجادلات الكلامية، وعليه فإنه لا يمكن اعتبار المنهج والطريقة الخلدونية في مجال دراسة الظواهر الاجتماعية منهجا وضعيا فحسب، بل هو منهج شامل كامل ومتكامل لفهم جل الظواهر الكونية التي يصعب على الباحث فهم عللها واستخراج نتائجها، فالفكر الخلدوني لا يضيق في التجريب ولا في التجريد بل يتخذ منهما منهجا في دراسة وتحليل الظواهر الطبيعية والبشرية.

8. الخاتمة:

خلاصة لما سبق وجب علينا أن نشير إلى تميّز ابن خلدون بصفة عامة وإلى تفرد منهجه بصفة خاصة عن سابقيه من المفكرين والباحثين بروح علمية واقعية تسعى لفهم وتفسير كل ما يكتنفه الغموض واللبس والشك، وتبحث عن تفسير طبيعي لكل شيء، فتجارب ابن خلدون وخبراته ودراساته للمجتمعات والظواهر الطبيعية والحوادث التاريخية والبشرية التي عايشها أو التي بحث في حفرياتها ساهمت بشكل كبير في إرساء دعائم منظومته المنهجية والفكرية والعلمية والاجتماعية متجاوزا بذلك أقرانه، ومهياً لمنهج شهد له البعيد قبل القريب بتفوقه وعبقريته، وعلى هذا الأساس يمكننا القول أن ابن خلدون كان من السابقين لاستخدام المنهج التجريبي والداعين له، وقد سبق في ذلك فرانسيس بيكون في دعوته للمنهج التجريبي، ولقد أعطى ابن خلدون فهما نقدياً للمنهج العلمي السليم، فلم تصبح العلوم عنده مجرد سرد ونقل وتلقين، بل هي نهج قبل أن تكون تفسير ونتائج وآلية دراسة، واشتمل منهج ابن خلدون على سلوك علمي جديد في ميدان العلوم لم يعهده المسلمون من قبل، ويكون ابن خلدون بهذا الإبداع المنهجي قد أعطى فكرة جليلة عن المستوى الممتاز الذي بلغه علم المناهج في العالم الإسلامي، زد على ذلك أن ابن خلدون يمثل من ناحية أصله وسيرة حياته فيسفاء رائعة تتم عن التنوع الفكري والعلمي والعرفي الذي كانت تحمله الحضارة الإسلامية.

خلص هذا البحث إلى النتائج التالية:

1. يعد منهج ابن خلدون طريق مختصر يوفر لنا كما هائلا من الجهد والوقت نظرا لما يقدمه للباحث من خبرات وآليات تتأى بالباحث عن سوء المغالطات وعشوائية البحث.
2. يعد ابن خلدون من المفكرين السابقين لاكتشاف المنهج التجريبي وخطواته، والداعين إلى تطبيقه في شتى الميادين والمجالات.
3. تميز منهج ابن خلدون عن سابقيه بروح علمية واقعية لم يعهدها المختصون في هذا الشأن، ولا نبالغ إذ نقول أن ابن خلدون قد سبق فرانسيس بيكون في دعوته إلى التجريب.

9. قائمة المراجع:

1. noella baraquin .(1995) . *dictionnaire de la philosophie* .(المجلد 2) paris: almand colin.
2. ابن خلدون عبد الرحمان . (1982). المقدمة. بيروت لبنان: دار الكتاب اللبناني.
3. ابن خلدون عبد الرحمان. مقدمة *ابن خلدون* (المجلد 1). القاهرة، مصر: مطبعة مصطفى احمد.
4. ابن خلدون عبد الرحمان . (1982). المقدمة. بيروت لبنان: دار الكتاب اللبناني.
5. بدوي عبد الرحمان . (1962). *مؤلفات ابن خلدون* . القاهرة : المركز القومي لبحوث القومية والجنائية .
6. بوعلجية ناجية الوري. *حفريات في الخطاب الخلدوني : الأصول السلفية ووهم الحداثة العربية* . المغرب : المركز الثقافي العربي .
7. الحصري ساطع. (1967). *دراسات عن مقدمة ابن خلدون* (المجلد 3). بيروت، القاهرة و بيروت، مصر و لبنان: مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الكتاب العربي في بيروت.
8. الساعاتي حسن. (2006). *علم الاجتماع الخلدوني قواعد المنهج*. القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة .
9. صليبا جميل. تاريخ الفلسفة العربية. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني، د - ن.
10. عرابي عبد القادر . (2004). *قراءة سييسولوجية في منهجية ابن خلدون*، مجموعة من الباحثين الفكر الاجتماعي الخلدوني. بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى.
11. عرابي عبد القادر . (2008). *قراءة سييسولوجية في في منهجية ابن خلدون* (المجلد 1). لبنان: سلسلة كتاب المستقبل العربي: مركز دراسات الوحدة العربية .
12. كردي محمد السعيد. (1984). *ابن خلدون: مقال في المنهج التجريبي* . ليبيا : المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان .
13. لالاند اندري. (1996). *موسوعة لالاند الفلسفية* (المجلد 1). باريس، فرنسا: منشورات عويدات بيروت.
14. ماهر عبد القادر محمد. (1982). *مناهج ومشكلات العلوم (الاستقراء وعلوم الطبيعة)* (المجلد 2). الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
15. محمد محمد قاسم. (2003). *مدخل إلى فلسفة العلوم*. دار المعرفة الجامعية.

16. الهنائي علي بن حسن. (2000). *المنجد في اللغة العربية المعاصرة* (المجلد 1). بيروت، بيروت، لبنان: دار المشرق.
17. وهبة مراد و كرم يوسف. (1997). *المعجم الفلسفي* (المجلد 1). القاهرة: دار الثقافة الجديدة.